وواقع الأمر ان معظم هذه الوقائع هي اعراض لأزمة النفط. إن العالم قد لا يعمد الى الاعتماد على المزيد من انتاج النفط لتلبية حاجاته النفطية المتزايدة. ان النفط مصدر محدود، غير متجدد. ولقد سبق أن اضطرت الاحتياطيات النفطية المحدودة معظم الدول المنتجة للبترول إلى تخفيض انتاجها بما في ذلك الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي والنرويج والمملكة المتحدة وكذلك المكسيك، والتي تقع جميعها خارج منظمة الاوبك. إن هذه الاجراءات الجذرية قد اتخذت تجاوباً مع «الأزمة» الراهنة. وكان يجب توقعها منذ سنوات عدة.

إن الالتفات المبكر إلى اجراءات الاقتصاد في الطاقة، وتطوير بدائل من مصادر الطاقة الأخرى، ربما تكون قد خففت، إن لم تكن منعت وقوع ازمة الطاقة كما نعرفها اليوم.

وقد سار استخدام الطاقة، تاريخياً، في اتجاه التقليل من الاعتماد على المصادر القابلة للتجدد، كالخشب والماء والحيوانات والقوة البشرية والى الاكثار من الاعتماد على المصادر المحدودة وغير القابلة للتجدد، كالفحم والنفط والغاز. إن النفط لم يكن في السابق بالأهمية التي هو عليها الآن. ففي خلال القرن الماضي، كان الفحم هو المصدر الرئيسي للطاقة، ولكن منذ العام ١٩٠٠، ازدادت اهمية النفط بصورة مدهشة، وقبل عقد من السنين، تجاوز النفط الفحم كمصدر رئيسي للطاقة في العالم. وخلال الخمسين سنة الماضية، وفي حين تضاعف استهلاك العالم للطاقة أربع مرات، تضاعف استهلاك النفط ست عشرة مرة. لقد كان التحول من الفحم إلى النفط والغاز، جزئياً، تلبية للتغير التكنولوجي، ولكن بصورة رئيسية، يمكن القول أنه نتج عن الانخفاض المستمر في اسعار النفط.

ومنذ العام ١٨٩٠ فصاعداً، راح الاستهلاك العالمي للنفط يتضاعف كل عشرة سنوات. وبالتحول في اتجاه النفط، وجدت الدول الصناعية نفسها، بحلول العام ١٩٦٠، معتمدة اعتماداً كلياً في خطط تنميتها الاقتصادية على النفط المستورد. وقد حدث هذا بالرغم من أنه كان معروفاً أن احتياطي النفط كان اقل من احتياطي الفحم. المعروف، في الوقت الراهن، ان احتياطي النفط يقدر بـ ١٥٠ مليار طن من الغاز والبترول مقابل ٧٠٠ مليار طن من الفحم (أو ما يعادل ٣٠٠ مليار طن من البترول). لقد حبذت، السياسات العامة والخاصة استخدام النفط، باسعاره الزهيدة نسبياً، وبخاصة النفط المستورد من الشرق الأوسط وشمال افريقيا. وكانت النتيجة الصافية تنمية اقتصادية سريعة مدعومة بطاقة رخيصة؛ ولكن على حساب، ما يبدو الآن، أنه مصادر الطاقة وعلى حساب ايجاد نظام طاقة مكثف للانتاج والتوزيع والنقل (راجع الجدول رقم ٢).

بالنسبة للدول المصدرة للنفط، كان اثر التحول من الفحم الى النفط، هو الاتجاه لمزيد من عمليات التنقيب، والمزيد من الاكتشافات المهمة لمصادر النفط. لكن قدرة هذه الدول على الاستفادة من هذه المصادر، كانت محدودة للغاية لسببين مهمين على الأقل هما:

(أ) أن الامتيازات النفطية التي فازت بها الشركات الدولية لم تكن لصالح الدول